أَلَا يـا نَـسِـيـمَ الـرِّيـحِ حُـكْـمُـكَ جـائِـرٌ
عَـلَـيَّ إذا أَرْضَـيْـتَـنـي وَرَضِـيـتُ[١]
أَلَا يـا نَـسِـيـمَ الـرِّيـحِ لـو أَنَّ واحِـداً
مِـنَ الـنَّـاسِ يُـبْـلِـيـه الـهَـوَى لَـبَـلِـيـتُ[٢]
فَـلَـوْ خُـلِـطَ الـسُّـمُّ الـزُّعَـافُ بِـرِيـقِـهـا
تَـمَـصَّـصْـتُ مِـنْـهُ نَـهْـلَـةً وَرَوِيـتُ[٣]

٣٥
زفرة محبّ

[الطويل]

سَـرَتْ فـي سَـوَادِ الـقَـلْـبِ حـتَّـى إذا انـتـهـى
بـهـا الـسَّـيْـرُ وارتـادَتْ حِـمَـى الـقَـلْـبِ حَـلَّـتِ[٤]
فـلِـلْـعَـيْـنِ تَـهْـمـالٌ إذا الـقَـلْـبُ مَـلَّـهـا
ولِـلْـقَـلْـبِ وِسْـوَاسٌ إذا الـعَـيْـنُ مَـلَّـتِ[٥]
ووالـلَّـه مـا فـي الـقَـلْـبِ شَـيْءٌ مِـنَ الـهَـوَى
لأُخْـرَى سِـواهـا أَكْـثَـرَتْ أَمْ أَقَـلَّـتِ[٦]

---

(١) و (٢) جائر: ظالم. يخاطب الشاعر أرقّ النسيم الذي يحمل البشائر، فريح الحبيبة ينعش القلب والنفس، ويتذكر الشاعر الهجر فيتألم، فإذا بالنسيم يحمل إلى الشاعر العذاب فوحده من دون سائر المحبين يشعر بأنّ الموت يتسرّب إلى روحه فقط.

(٣) السمّ الزعاف: المميت بسرعة. نهْلة: رشفة الماء الأولى. تمصّصت: رشفت. رويت: شبعت. ريق الحبيبة منعش يساعد على الحياة، لا يؤثر به السمّ القاتل، فلو خالطه لفقد خاصية القتل واستحال إلى سبب من أسباب الحياة، فيكفيني أن أرشف رشفة، حتى أحسّ بالرواء.

(٤) لمحبّة ليلى رحلة تسرَّبت في سائر الجسد بدءاً بالقلب حتى استولت مطمئنة في عرش وجود الشاعر على كلّ جارحة لديه.

(٥) يجثم على كاهل الشاعر همّ تترجمه الدموع، وفي حال الإرهاق تداخل الأوهام القلب بين أمل ورجاء وبين مرارة الهجران والبعد.

(٦) يقسم الشاعر أن قلبه لن يسع سوى محبوبته ليلى في حالٍ من الأحوال سواء أكانت زيارتها متواترة متتالية أم قليلة.

فـمـا وَجْـدُ أَعـرابِـيَّـةٍ قَـذَفَـتْ بـهـا
صُـروفُ الـنَّـوَى مـن حـيـثُ لـم تَـكُ ظَـنَّـتِ(١)

إذا ذَكَـرَتْ نَـجْـداً وَطِـيـبَ تُـرابِـهِ
وخَـيْـمَـةَ نَـجْـدٍ أَعْـوَلَـتْ وأَرَنَّـتِ(٢)

بِـأَكْـثَـرَ مِـنِّـي حُـرْقَـةً وَصَـبـابَـةً
إلـى هَـضَـبـاتٍ بـالـلِّـوى قَـدْ أَظَـلَّـتِ(٣)

تَـمَـنَّـتْ أَحـالِـيـبَ الـرِّعـاءِ وخـيـمـةً
بِـنَـجْـدٍ فَـلَـمْ يُـقْـدَرْ لَـهَـا مَـا تَـمَـنَّـتِ(٤)

إِذا ذكـرت مـاءَ الـفـضـاء وخـيـمـةً
وبـرد الـضـحـى مـن نـحـو نـجـد أَرنَّـتِ(٥)

لـهـا أَنَّـةٌ قَـبْـلَ الـعِـشـاءِ وأَنَّـةٌ
سُـحَـيْـراً فـلَـوْلا أَنَّـتـاهـا لـجُـنَّـتِ(٦)

بِـأَوْجَـدَ مـن وَجْـدٍ بـلـيـلـى وجـدْتُـه
غـداة ارْتَـحَـلْـنـا غُـدْوَةً واطْـمـأَنَّـتِ(٧)

---

(١) النوى: البعد. الوجد: شدّة الشوق والعشق. الحبّ قدر، فقدر الشاعر مصادفته لقاء حبيبته الأعرابية؛ وتلك كانت من غير المتوقع لما جرّت عليه من ويلات.

(٢) و (٣) أرنّت: أعولت. ومن أسباب لوعة العين تذكارها أماكن عزيزة عليها، كنجد وترابها وهضاب اللوى؛ فهي دائمة الشوق والحنين إلى تلك الأمكنة لذا فإنها تبكي حبًّا لأنّنا كنّا ننعم بظلالها الوارفة الحنون.

(٤) أحاليب الرعاء: المراعي الخصبة. تهفو العين إلى تلك الرباع الغنية الخصبة، حيث تجد خيمتها بنجد، ولكن هل من الممكن تحقيق الأماني؟

(٥) الفضاء: السماء. أرنّت: أعولت. فلو أن العين تذكّرت ما امتازت به نجد من ماء الفضاء وخيمة وطراوة جوّ الضحى انتحبت وأعولت لفقدها تلك النعم.

(٦) لغة الأنين تصاحب عين الشاعر في كلّ وقت، قبل العشاء وفي السحر، فتنهمر الدموع مسرّية عمّا به من كرب وحزن، ولولا ذلك لنزل بساحته الجنون.

(٧) هيام الشاعر العظيم بحبيبته ليلى صباغه عذاب وألم غداة تباعدهما هي استراحت واطمأنّت وهو عانى لوعة الفراق.

فَـإِنْ يَـكُ هـذا عَـهْـدُ لـيـلـى وأَهـلِـنـا
فـهـذا الَّـذي كـنَّـا ظَـنَـنَّـا وَظَـنَّـتِ[١]
أَلا قـاتـلَ الـلَّـه الـحـمـامـةَ غُـدْوةً
عـلـى الـغُـصْـنِ مـاذا هـيَّـجَـتْ حِـينَ غَـنَّتِ[٢]
تـغـنَّـتْ بِـلَـحْـنٍ أَعْـجَـمـيٍّ فـهـيَّـجَـتْ
هَـوايَ الَّـذي بـيـن الـضُّـلـوعِ أَجَـنَّـتِ[٣]
نَـظَـرْتُ إِلَـيْـهِـنَّ الـغَـدَاةَ بِـنَـظْـرَةٍ
وَلَـوْ نَـظَـرَتْ عَـيْـنـي بِـطَـرْفـي تَـجَـنَّـتِ[٤]
خَـفَـتْ شَـجَـنـاً مِـنْ شَـجْـونـا ثـمَّ أَعْـوَلَـتْ
كـإِعْـوالِ ثَـكْـلـى أُثْـكِـلَـتْ ثُـمَّ حَـنَّـتِ[٥]
فـمـا أَخَّـرَتْ إِذْ هَـيَّـجَـتْ مـن صَـبَـابَـتـي
غَـداةَ أَشَـاعَـتْ لِـلْـهَـوَى وَارفَـأَنَّـتِ[٦]
أَقـولُ لـحـادي عـيـر لـيـلـى وقَـدْ يَـرَى
ثـيـابـي يَـجْـري الـدَّمْـعُ فـيـهـا فـبُـلَّـتِ[٧]:
أَلا قـاتـلَ الـلَّـهُ الـلِّـوَى مِـنْ مَـحَـلَّـةٍ
وقـاتَـلَ ذُئْـبَـانـاً بِـهـا كَـيْـفَ وَلَّـتِ[٨]

(١) ما تمنّت ليلى من راحة البال في البعد وكذلك الأهل كان محسوباً.
(٢) و (٣) يدعو الشاعر بالويل والثبور على الحمامة، رمز الوداعة والحبّ، فغناؤها حزين مشج يثير كوامن النفس بلحنها الأعجمي ويضرم في القلب نيران اللوعة والأسى.
(٤) الطرْف، بسكون الراء: النظر. نظر الشاعر إلى الحمام نظرة حزينة تترجمها الدموع، ولو التفتت تلك الحمام ورأت ما في الشاعر من ألم وحزن لنزل بساحتها الجنون.
(٥) الشجن: الحزن. حملت رقة المشاعر لدى الحمامة على مشاركة الشاعر أحزانه فبكت لبكائه كمن فقد عزيزاً عليه.
(٦) أخّرت: توقّفت عن البكاء. ارفأنّت: استقرّت وهدأت. بعدما أثار بكاؤها ألمي وحزني توقّفت عن غنائها الحزين وهدأت استفاق لديّ الحبّ.
(٧) و (٨) أثار رحيل الحبيبة كوامن الشاعر وحادي العير يغنّي غناءه الحزين فأبكاه وقد =

غَـبَـرْنـا زَمـانـاً بـالـلِّـوى ثُـمَّ أَصْـبَـحَـتْ
بِـراقِ الـلِّـوَى مِـنْ أَهْـلِـهـا قَـدْ تَـخَـلَّـتِ[١]

أُلامُ عـلـى لـيـلـى وَلَـو أَنَّ هَـامَـتـي
تُـداوَى بِـلَـيْـلَـى بَـعْـدَ يُـبْـسٍ لَـبُـلَّـتِ[٢]

بِـذِي أَشَـرٍ تَـجْـرِي بِـهِ الـرَّاحُ أُنْـهِـلَـتْ
تَـخَـالُ بِـهـا بَـعْـدَ الـعِـشَـاءِ وعُـلَّـتِ[٣]

ويَـبْـسِـمُ إيـمـاضَ الـغَـمَـامَـةِ إِذْ سَـمَـتْ
إِلـيـهـا عُـيُـونُ الـنَّـاسِ حَـتَّـى اسْـتَـهَـلَّـتِ[٤]

حَـلَـفْـتُ لـهـا بِـالـلَّـهِ مـا حَـلَّ بَـعْـدَهـا
ولَا قَـبْـلَـهـا أُنْـسِـيَّـةٌ حَـيْـثُ حَـلَّـتِ[٥]

أَقـامَـتْ بِـأَعْـلـى شُـعْـبَـةٍ مِـنْ فُـؤادِهِ
فَـلا الـقَـلْـبُ يَـنْـسَـاهـا وَلا الـعَـيْـنُ مَـلَّـتِ[٦]

= رآه ابتلّت ثيابه من دموعه. فقال له: لعن اللّه اللوى وما فيه من ذئاب حيثما رحلت.

(١) غبرنا زماناً: أمضينا. عشنا زمناً باللوى هانئين سعداء، ولكن الزمن لم يدم على حاله، فقد أصبح قفراً بعدما غادره ساكنوه.

(٢) الهامة: الجسد. بلت: شفيت. يلومونني لحبي ليلى ولا يعلمون أنّها سرّ حياتي، فلو يبس جسدي لكانت سبباً لعودتي إلى الحياة من جديد.

(٣) الأشر: المرح، تخال: تختال. الراح: الخمر. عُلّت: شَربت مرة بعد مرة. دبّت فيها الحياة والمرح والفرح وسرت روح النشوة في أركانها، فراحت تختال عشاءً.

(٤) إيماض الغمامة: برق السحابة. سمت إليها العيون: اشرأبّت. استهلت: انهمر مطرها بغزارة. تفاعل حيّ مشترك، فما إن تبسم عن ثغر، وتلتقيها العيون مشرئبة حتى تنهمر مطراً غزيراً.

(٥) أقسمت صادقاً باللّه تعالى قسم الإخلاص أنني لا زلت على العهد، ولم أستبدلها بغيرها من بنات جنسها ولن أفعل ذلك.

(٦) تربّعت أعلى مكان في قلب الشاعر، والقلب ذاكر دائماً والعين لن تملّ النّظر إليها.

وَقَــدْ زَعَــمَــتْ أَنِّــي سَــأَبْــغِــي إِذا نَــأَتْ
بِــهــا بَــدَلاً يــا بِــئْــسَ مــا بِــيَ ظَــنَّــتِ[١]
وَمــا أَنْــصَــفَــتْ أَمَّــا الــنِّــسَــاءَ فَــبَــغَــضَّــتْ
إِلــيَّ وأَمَّــا بــالــنَّــوالِ فَــضَــنَّــتِ[٢]
فَــيَــا حــبَّــذا إِعْــرَاضُ لَــيْــلَــى وَقَــوْلُــهــا
هَــمَــمْــتَ بِــهَــجْــرٍ وَهْــيَ بِــالــهَــجْــرِ عَــمَّــتِ[٣]
فَــمَــا أُمُّ سَــقْــبٍ هــالــكٍ فــي مَــضَــلَّــةٍ
إِذا ذَكَــرَتْــهُ آخِــرَ الــلَّــيْــلِ حَــنَّــتِ[٤]
بِــأَبْــرَحَ مِــنِّــي لَــوْعَــةً غَــيْــرَ أَنَّــنــي
أُجَــمْــجِــمُ أَحْــشــائــي عــلــى مــا أَكَــنَّــتِ[٥]
خَــلــيــلــيَّ هَــذِي زَفْــرَةُ الــيَــوْم قَــدْ مَــضَــتْ
فَــمَــنْ لِــغَــدٍ مِــنْ زَفْــرَةٍ قــد أَظَــلَّــتِ[٦]

(١) نأت: بعُدت. اعتقدت أني سأخلف الوعد وأستبدلها بغيرها ساء ظنّها فيما فكّرت بي.
(٢) ضنّت: بخلت. أنصفت: عدلت. النوال: اللقاء. جارت بحكمها عليَّ وكرّهت إلي النسوة سواها، لا بل بخلت عليّ باللقاء أيضاً.
(٣) إعراض: صدود. يحلو للشاعر إعراض لها، ومن غنج النساء الوعد والإخلاف، حتى التجنّي قولاً أنّك بدأت بالهجران ولكنّها هي البادئة في الحقيقة.
(٤) السقب: ولد الناقة لحظة ولادته. المضلّة: أرض التيه. يعبّر الشاعر عن ألمه، فلو أن ناقة فقدت صغيرها بصحراء متاهة وافتقدته آخر الليل فما بكته وحنّت إليه رغم شدّة الحنين لديها.
(٥) أبرح: آلم وأحزن. أجمجم: أخفي في صدري. أكنّت: خبأت. ليست تلك الناقة تحمل في نفسها حزناً أكثر منّي، ولكن لديّ القدرة على التماسك، فلا أبوح بما يخالجني من أسًى وحزن.
(٦) أظلّت: حان موعدها. الخليل: الصاحب والصديق. يوجّه الشاعر إلى صاحبيه، على طريقة الشعراء، بثّه بأنّ شعره هذا زفرة ألم الآن، والغد قريب فيسألهما هل من يستمع إليه ليتلقى زفرة الغد؟